

طارق الدليمي .. الصديق اللئود 2-2

على مشارف الثمانين متاعه الكتب وضمير حي ومروءة

عدم تقدير لمسؤولي، وعدم احترام للحزب الذي كنت أمثله. وحاول الدليمي أن يقبل الأمور معي خفياً، لكنه تأكد من عدم معرفتي للجهة الموقعة على البيان، وانني لا أخفي اسمها، علماً بأن حدسنا الأولي كان ثمة مجموعة من داخل النظام كانت تحاول مدّ الجسور مع الحزب، ولهذا السبب لم نرغب أن نعلن عن أنفسها وتلك واحدة من الإحراجات غير القليلة التي فحقت علينا التباسات وتقولآت كنا في غنى عنها، الأمر الذي زاد حجم ديمير طاقات اللدلين الجارين وتحطيم قدراتها الدفاعية وهدر أموالها، فضلاً عن خسارة نحو مليون إنسان في حرب عبثية لم يكن لها مبرر على الإطلاق، وكان يمكن حل الخلافات بصورة سلمية وبالمفاوضات وطبقاً للقانون الدولي وليس عبر الحرب والنزاع المسلح. وإذا كانت انتفاضة 6 آذار (مارس)1975 المعروفة باسم "انتفاضة الجزائر" مجففة ومذلة بشأن العراق، وهي التي وقعها صدام حسين نائب الرئيس العراقي حينها مع شاه إيران محمد رضا بهلوي لكن الحرب ليست الوسيلة المناسبة لاستعادة الحقوق التي نازلت عنها ذات النظام في شط العرب بموجب ما سمّي بخط النالوق، وهو خط وهمي يقع في أعقق نقطة في وسط مجرى النهر وحتى البحر، ناهيك عن التنازل عن اراض عراقية في اليااسة. وفي الوقت الذي كنا ندين غزو القوات العراقية لإيران، إلا أن تورط صدام في مثل تلك الحرب قاد إلى الاعتقاد أن بالإمكان الإطاحة به، الأمر الذي كانت تراهن عليه قوى كثيرة، بل أن بعضها اعتبره -ابلاً إلى السقوط- وما على المشروع البديل إلا أن يحضر نفسه في محاولة لتضخيم الذات واستعمار شان الخصم، وحاول طارق الدليمي في المرحلة الأخيرة من الحرب التنسيق مع اللواء حسن النقيب ومصطفى جمال الدين وشخصيات أخرى، لم تكن بعيدة عن التوجه السوري، حيث تمت دعوتنا مناد عبد الرضا وكاتب السطور التوقيع على بيان مشترك، لكننا لم نذقق على الصيغة والتوجه وبعض الأسماء، وهو الأمر الذي اختلفنا حوله بشأن القوى والقوات العراقية للكويت، وربما كانت مواقفنا متطابقة إلى حدود كبيرة خلال سنوات الحصار الدولي الجائر المفروض على العراق.

وقد سألني بخصوص تشكيل "الجبهة الوطنية الديمقراطية" (جون) التي تأسست في كردستان بعد أسبوعين من تشكيل جودق، بسبب استبعاد الحزب الديمقراطي الكردستاني من جودق لوقوف ضاغط من الاتحاد الوطني الكردستاني وجمال الطالباني تحديداً، علماً بأن الجوبتين لا تختلفان عن بعضهما كثيراً، باستثناء السياسيات السياسية والارتياحات الشخصية وبعض المواقف المسبقة، وكان راينا الذي أبلغناه في لقائنا مع عبدالله الأحمر (الأمين العام المساعد لعبد البهجت)، في خريي وعبد الحسين شعبان، قد اشتمل على ثلاث مقترحاً يكون الإخذ باب منها تسوية للخلاف ونزاع للمقبل وبراءة للإمخالات أو بالمعارضة في حينها: الأول- توحيد الجبهتين وإنهاء المشكلة، الثاني- ضم الحزب الديمقراطي الكردستاني (البارتي) إلى جودق وحل جودق لأن الحزبين الأساسيين المتحيزين هما الحزب الشيوعي والبعثي الإنشتركي الذي استبعدت في أعضائه جودق أساساً وكانت وجهات نظرها منذ البداية ضم "البارتي" وإضافة حزب الباسوق إلى جودق لتكوين أوسع إطار للمعارضة، والثالث -تشكيل لجنة تنسيق بين الجبهتين، والهدف هو إنهاء الخلاف الحثدسم في صفوف المعارضة، وتطبيع العلاقات بين أطرافها، خصوصاً الخوصمة التاريخية في حدك و"أول". وكان رأي طارق الدليمي ما دام هناك (صقور) في الفريقين فلن يتحقق ذلك، وهو ما حصل فعلاً حيث انفجر الخلاف وتحوّل إلى صراع حاد وجرت مناقلات و جانب بعض الأطراف وساد جو من الكراهية والبغضاء والإساءة، لم يكن له مبرر على الإطلاق.

VIII
لم يكن مفاجئاً لطارق الدليمي حين اتخذ قراراً مع ثلّة من الرفاق بالعمل على تأسيس منبر شيوعي من داخل الحزب لفتح حوار ونقاش حول سياسة الحزب بشكل عام والحرب العراقية- الإيرانية بشكل خاص، وذلك بالتعاون مع عدد من الرفاق والأصدقاء وبعض الوجوه الثقافية التي كانت تدعم توجهها، ووقع عدد كبير منها (75 مقالاً) بينهم طارق الدليمي على مذكرة احتجاجية بشأن السياسة الثقافية، وفي مقدمة الشخصيات التي شاركت في تأسيس حركة المنبر: ثوري عبد الرزاق ومهدي الحافظ وخالد السلام وماجد عبد الرضا وآخرون. وكانت ثمة اختلافات بعضها نظري تتعلق بالمركية وطريقة التعامل معها بهدف تجديدها انطلاقاً من الواقع وبما ينسجم مع ظروف العراق وأوضاع العالم العربي، وبعضها عملي يتعلق بشكل خاص بالموقف من الحرب العراقية- الإيرانية حيث اعتبرنا موقف " إدارة الحزب" ممالئاً للحركة الكردية وإيران، وكذلك في الموقف من التحالفات التي



عبد الحسين شعبان مع طارق الدليمي

وخارج أي إطار، وقد وجهنا رفاقنا لاختيار كل موقف الموقف الذي يريد، بما فيه العودة إلى الحزب، فالطريق مفتوح أمامهم وعليهم أن يختاروا ما يريدونه ويرتضونه، وذلك في رسالة كتبناها لهم بالاتفان مع ثوري عبد السزاق في 27 كانون الأول (ديسمبر) ١990 وأبعد الاتصال بمهدي الحافظ وكان آخر عدد للمنبر قد صدر في وقتها (قبل شهرين من ذلك، واحتوى نتائج الاجتماع الموسع لحزب المنبر الذي عقدها بعد غزو الكويت).

وللعلم لم يكن العلوي ميّالاً لموقفنا وتوجهاتنا وكان أقرب إلى إدارة الحزب، بل اجتهد في نقداً، لكنه كان يحترم شخصاًنا وخياراتنا، منذ إعلان تحركنا في البيان الذي أصدرناه حول الحرب العراقية- الإيرانية في العام 1986 ووقعه ستة رفاق هم: ثوري عبد الرزاق ومهدي الحافظ وأحمد كريم وخالد السلام وماجد عبد الرضا وعبد الحسين شعبان، وقبله التقييم الذي أصدرناه في أيلول 1984 من وحي البيوبيل الذهبي للحزب الشيوعي - حديث صريح في الهجوم والأمال لمجموعة من قادة وكوادر الحزب- وظلت العلاقة مع العلوي قائمة بزيارات متكررة من جانبنا ماجد عبد الرضا ومحمد جواد فارس وكانت السطور. ومن القضايا التي أذكرها لأول مرة أن عمود نقطة ضوء في صحيفة المنبر كان في الغالب حوارات بيني وبين طارق الدليمي ، أذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض العناوين منها: الثورة الاجتماعية والخرافية السياسية (العدد 4) والتعدلات والضياع الرؤيا (العدد6) والرهانات الخاسرة والموقف المسؤول (العدد 6) والمشروع والصراع (العدد 9).

IX
من الشخصيات التي أحببتها والذي نجاة شعبان هو طارق الدليمي وذلك خلال الأشهر التي أقامت فيها مع אחتي سميرة وعائلتها في دمشق انتظارا أني أكمل امر إقامتها معي في لندن بعد أن تركت العراق بليل بهم، حيث تعرضت للاعتقال والاستجواب عدة مرات، وعلى مدى عقدين من الزمان، وكان طارق الدليمي يزورها باستمرار ويهتم بها ، وكانت بكل اتصال معي تشيد به ومن تعلقياتها الطريفة: إنه صاحب معشر حلو وابن خير ويعرف كل شيء عنّا وكأنه عاش معنا طوال حياته، وبالطبع كانت علاقته بالعائلة قوية جداً باحتي سلمى واخي حيدر وكل ما يتعلق بالأقارب والأصدقاء القريبين، فإنه يعتبرهم عائلته أيضاً، مثلما هي علاقتي بوالدته وخصوصاً خلال زيارتها إلى دمشق وشقيقه خالد. لم از الجواهري الكبير يوماً مع مزاج وردي مثلما رأيته عند جلوس طارق الدليمي إلى جانبه، فثمة شيء من الكيمياء حصلت بين الرجلين، خصوصاً والجلسة كانت في منزل شقيقي سلمى، حيث دعوت الجواهري وعائلته بحضور شقيقته نسيبة (أم كاظم ولواء وصفاة ورواء الجصاتي) وصادق الجواهري، إضافة إلى الفنان سامي كمال والشاعر الشعبي جمعة الحلبي وزوجته (أم زينا)، إضافة إلى المثقف الفلسطيني اليساري داود اللحمي رئيس تحرير مجلة الحرية وطارق الدليمي .

وحيث دارت " الأوسؤس من صغرى ومن كبرى ، كان الجواهري يضحك من القلب ما أن يهمس طارق الدليمي في أذنه، وكما كان صاحب مروءة وعلى شرف قدر الناس تكون المروءة حسب الإمام علي ، فهو لا يقبل بظلم أحد أو إهائته أو إضافة إلى الفنان سامي كمال والشاعر الشعبي جمعة الحلبي وزوجته (أم زينا)، إضافة إلى المثقف الفلسطيني اليساري داود اللحمي رئيس تحرير مجلة الحرية وطارق الدليمي .

وحيث دارت " الأوسؤس من صغرى ومن كبرى ، كان الجواهري يضحك من القلب ما أن يهمس طارق الدليمي في أذنه، وكما كان صاحب مروءة وعلى شرف قدر الناس تكون المروءة حسب الإمام علي ، فهو لا يقبل بظلم أحد أو إهائته أو إضافة إلى الفنان سامي كمال والشاعر الشعبي جمعة الحلبي وزوجته (أم زينا)، إضافة إلى المثقف الفلسطيني اليساري داود اللحمي رئيس تحرير مجلة الحرية وطارق الدليمي .

وحيث دارت " الأوسؤس من صغرى ومن كبرى ، كان الجواهري يضحك من القلب ما أن يهمس طارق الدليمي في أذنه، وكما كان صاحب مروءة وعلى شرف قدر الناس تكون المروءة حسب الإمام علي ، فهو لا يقبل بظلم أحد أو إهائته أو إضافة إلى الفنان سامي كمال والشاعر الشعبي جمعة الحلبي وزوجته (أم زينا)، إضافة إلى المثقف الفلسطيني اليساري داود اللحمي رئيس تحرير مجلة الحرية وطارق الدليمي .

5 إِستِطلاعات

لاجئ الناصرية وكلوني وتاجر عباءات من مكة

1
اتى الممثل العالمي جورج كلوني من امريكا الى مدينة زولنكن الالمانية ليراجع البرفسور هانز بتروس حول الالام التي تتكرر في ظهره حسب موعد مسبق اجزه قبل شهر ، الجلسة والاشعة والاستشارة بسعر المشفى كلفة نحو 400 اورو.

مررت صدفه حيث يقع المشفى في منتصف الطريق بين بيتنا ومدرسة ابنتي التي تعودت العودة معها ظهرا .وجدت متان من المعجبين في انتظار كلوني الذي خرج بسرعة واخفى في سيارة مظلة سوداء.

2
(س . ع . مطشر) من اهالي الناصرية ، تخرج في كلية الآداب وظل سنوات يبيع الحلويات في باب النشاط المرسي ، ومع موجة الهجرة التي هبت على اوربا قبل اربع سنوات ، هب (س) من الهابين من أجل حياة أفضل وعمل يعده عن بسطة الجلكتي المغشوش.

سلم نفسه في ميونخ وبقي شهرين قدموه الى القابلة الاولى ثم حوله الى مدينة فويرتال القريبة من زولنكن بحوالي 20 كم ، اتصل بي وقدمت له ما استطيع من عون ومشورة ، لكن نتيجة التحقيق جات سلبية وتم رفض طلب لونه ، ثم استأف الحكم ، وهو في انتظار الاستئناف انزل على درج كامب الإقامة وخلع كفته ، فاتصل بي وهو ينحب من الالم ، فاشترت له ان يذهب الى دائرة السوسيال ويأخذ منهم ورقة تحويل على طبيب سوري الذي حوله الى مشفى مدينة زولنكن القريبة وخصه ذات البرفسور الذي فحص جورج كلوني .والذي قرر ان يجري له عملية على الفؤر يستغرق فيها علاجه اربعة اسابيع ماين العملية والشفا، حيث عليه البقاء في المشفى.

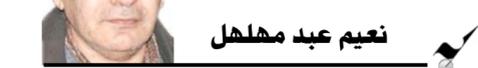
اجرى العملية وفي ذات الغرفة وبذات الملة وذات توقيت العملية ونفاتها كان هناك تاجر من اهل مكة يبيع العباءات الرجالية وسبق له ان تعامل مع تجار العباءات الرجالية في مدينة النجف والحي وسوق الشيوخ .

تعارفا وتصادقا واخبره التاجر المكي انه متى حصل على الإقامة سوف يدعوه ضيفا لكة وعمرتها .

يوم انتهت النقاة واتى حساب مبلغ العملية خرج الاثنان من غرفة الحسابات فسأل (س . ع . مطشر) صديقه المكي: كم كلفتك العملية ونفاتها. ؟ قال : تقريبا (ثلاثين الف يورو – حوالي 40 مليون دينار عراقي) . واثت كم كلفتك. ؟

ضحك (س) وقال كلفتي (صفر يورو) فبلدية فويرتال دفعت كل التكاليف.

ضحك التاجر المكي مزاحا وهو يعانق صديقه (س) مودعا وقال :ليني طلبت اللجو، الى المانيا.



دوسلدورف

حكايات الواقع والخيال

حينما كنتُ في مقتل العمر كانت أفكارى ولاحلي ترسم لي صورة الحياة في الهند وكيف ساعيش هناك – لو قدر لي- أن أسافر الى الهند واعيش كما يعيش ابوال افلام الهندي .

كل القصص التي كنت اشاهدها من خلال الافلام الهندي كانت تدخل في ذهني وتصور انها حقيقة . بتقدم الحياة ويدخولي مرحلة النضوج الفكري – أصبحت تلك الافلام (مهمما كما مأساوية) لاتمثل لي أي شيء، لانني عرفت معنى الفلم الهندي وكيف تُدار الحكاية –خصوصا بعد ان قابلت وراققت عدداً كثيراً من الصحفيين الهنود – بحكم مجال عملي كترجم للصحافة العالمية من عام 1987 إلى سنة 2003 لكن واقع الحكاية التي سمعتها من أحدم معي يتحدث عن مهاجر عراقي شاب (ل – فنلندا- كذف في ذهني مفهومأ أن بعضا من تلك الحكايات الهندي لها واقع ملموس في الحياة ويبعني علينا أن لانكتب أي حكاية هندي منذ هذه اللحظة فرما تكون واقعية وبذلك نظم مؤلف تلك الحكاية . الحكاية التي جرت في فلندا ساكتيها بتصرف ولكنني لن أخرج عن الفكرة الرئيسية مطلقاً .

تقول الحكاية (كان أمجد يسير في شارع من شوارع فلندا مفهوم الحال يشعر بقلوب لاتقوم للكا، على كل الاكيات التي تركها هناك عند الطريق السريع في مدينته التي يبذلها بها وللايات العالم –مدينة الدورة التي رسمت في روحه عشتا لكل شيء –جميل- تركها مرغماً وسبب ظروف قاهرة لاجل لذكراها هنا. كانت السيارة لاتقار يد اليمين كما شعر بالحقين الى أمه وابيه وهما في التي كانت تسيطر سطح البيت بزهو وكبرياء. لا يعرف كيف سيكون مستقبله في هذه المدينة التي لايرغب أي شخص فيها أن يتحدث اليه وكأنه صواب الجاد . سمع الكثير عن الهجرة الى مدينة انجنية وكان يلتم بانه سيكون حياة جميلة هناك مع زوجة فنلندية وسيكون لديه اطفال وببيت وكل شيء، كان يحلم به قبل الرحيل . شعر بالتعب فجلس على مصطبة قريبة من الشارع الطويل . لم ينظر اليه احد ولم تشعر بوجوده أي فتاة كانت تمر من هناك. كان يشعر بالضياح التام بكل ما ماتعنيه هذه الكلمة من غنى، نظر الى السماء، وكان يستجدي من الخالق العظيم شيئاً يساعده ان يتخذه من هذه الغربة ويخلص من حياة المعسكر الذي كان يعيش في بطريقة مزعجة حد الموت. وضع رأسه بين يديه وراح ينظر الى الأرض حيث كانت هناك ثملة صغيرة او دودة وهي تخر بقوة شيئاً صغيراً وتسحب نحو مكان لايعرفه هو أبداً. استهوته تلك الصورة وراح يخطب اليها ... كما بصوت حزين " يا خالق هذه الدودة ويا رازقها بهذا الرزق الكريم ساعدني ... لم يبق لي سواك في هذا المكان. الغريب .البعيد . عن أمي وابي. أشعر بالضياح في كل شيء. أشعر أنني مفقود بلا هوية بلا حياة. كيف سأحصل على بيت وزوجة وسيارة وأنا في هذه الحالة المزرية. أعرف أنني أخاطب الفراغ . لأن أحد يسمعي سواك. بعظمتك التي خلقت هذه الدودة ..لانتساني. ياربى " راح يبكي بصمت والدموع تسيل من عينيه بفراغاً... نهض ليعود الى المعسكر الذي يعيش فيه. في اللحظة التي وقف فيها شاهد رجلاً عجوزاً يسير بطيء، يرتنح وكأنه لاذا كان يفعل ذلك لأن المرض لم يكن ظل يحدث اليه . دون سابق انذار سقط الرجل المسن على الأرض القريبة من الشارع من الجهة المقابلة وراح يرفس برجليه ويديه وكأنه وشك الرجل من هذا العالم. الغريب في الأمر أن بعض المرة كان ينظر اليه دون أن يحرك ساكناً. ركض أمجد نحو الرجل المسن وحمله وراقف سيارة أجره وطلب منه أن ينقله الى أقرب مستشفى. لاتريد أن يتحدث عن تفاصيل كثيرة لكننا نصف حالة أمجد وهو يقف بخوف شديد قرب سرير المرض ويطلب من الأطباء والطبيبات أن يفعلوا أي شيء لاتفاق المسكين. حينما أكد له الطبيب بأن حالته مستقرة ولا يموت . جلس أمجد في صالة الانتظار حسب اوامر الطبيب . كان يدعوا الله أن يخفي المرض ولاعرف لماذا كان يفعل ذلك لأن المرض لم يكن من القرابة ولا حتى من عشيرته لكن الحالة الانسانية جعلته يتمسك به .شعر. كانه يعتي بوالده. مضت ساعة كاملة على جلوسه في صالة الانتظار. على حين غرة جات فتاة أو سيدة ترتدي ملابس الألباء ترافقها فتاة أخرى. أشارت الي أمجد وهي تخبر الفتاة الأخرى بأن ذلك الشاب هو الذي جلب المرض الى المستشفى.

أخبرته الفتاة بأن الرجل والدها وهي تعيش معه لوحدها في البيت وطلبت من أمجد أن يذهب معها الى المرض. فرح أمجد حينما شاهد المرض يتناول شيء بسيط من الطعام . جلس أمجد قرب الرجل وراح يتحدث معه بلغة انكليزية بسيطة وراح المرض يشكر الشاب شكراً جزيلاً ويطلب منه أن يطلب أي شيء، ككافاة لكن أمجد لم يطلب أي شيء. حينما عرفت الفتاة أن أمجد يسكن في كامب المهاجرين اقترحت عليه أن يسكن معها في نفس البيت واخبرته بانها ستدبر منه من نصيبه . بعد بضعي اسبوع على وجوده مهمما ترزح أمجد تلك ماكانت تقترحه عليه. في غضون ساعات كان أمجد يدخل بيتها الكبير مع والدها المرض وتصطحبه الى الطابق العلوي وتخبره بها كل ذلك الطابق سيكون من نصيبه . بعد بضعي اسبوع على وجوده مهمما ترزح أمجد تلك الفتاة التي كانت تعمل كطبيبة تخدير في نفس المستشفى . ساعدته كثيرا على دراسة اللغة الفنلندية). انتهت الحكاية.

لو لم يحكي لي شخص متوكل تلك الحكاية لا صدقتها مطلقاً . حقا أن بعض الحكايات تصلح أن تكون فلما هنديا بجدارة. هنا يقول قائل ربما أن القدر ساعده الله كان صادقا في أنقاذ نفس بشرية دون أن يعرف تلك اللغز. كان عمله خالصا لوجه الله تعالى. ربما كان حديثه عند صورة الملة أو الدودة ودعائه بكلمات صادقة بكل ماتعنيه تلك العبارة وكان إيمانه بالله هو الذي حقق له ذلك الشيء المعجيب. تحية لكل من يعيش في المهجر بسبب ظرف خارج عن ارادته جعله يتزل منقلبه أو بلده .



تامر مزاد

بغداد